

مجلة الهلال

يونيو 2001

الطريق إلى هزيمة يونيو 1967

حلف الأطلنطي وراء ضرب عبد الناصر ومحاولة تصفيته

بقلم د: رعوف عباس

إن ما حدث في 5 يونيو 1967 من هزيمة مشينة للعرب أتاحت للكيان الصهيوني فرصة احتلال كامل التراب الفلسطيني إضافة إلى سيناء والجولان، كان نقطة تحول في تاريخ أمتنا العربية، تحولت بموجبه إسرائيل إلى قوة إقليمية كبرى وتكرس دورها كقاعدة لحماية مصالح الغرب في الشرق الأوسط. وطويت صفحة التيار القومي العربي.

فانحسر على هامش المسرح السياسى بعد أن كان يتصدره، أو قل إن شئت انحسر دور مصر الإقليمي، فانكفأت على نفسها داخل حدودها تسعى للم شعث قواتها المسلحة، وإعادة بنائها لتحرر سيناء، وتبحث لنفسها عن دور جديد يتناسب مع عملية "التحجيم" التي فرضتها عليها هزيمة 1967.

ولا يعنى ذلك أن إسرائيل استطاعت وحدها أن تصفى الدور الإقليمي لمصر لصالحها، ولكنها كانت رأس الحرية للغرب فى مشروع التصفية الذى بدأ التخطيط له فى شتاء 1964 فى اجتماع عقده حلف الأطلنطي خصيصا بناء على طلب تركيا لوضع حد للمتعاب التي يثيرها عبد الناصر فى منطقة الشرق الأوسط ضد مصالح الغرب ولذلك كانت ورقة العمل الرئيسية المقدمة للاجتماع من إعداد وزير الخارجية التركي وتحمل عنوان "تصفية عبد الناصر".

مصر وزعامة عبد الناصر

بعد مقدمة طويلة شرح فيها الجانب التركي الدور المشاكس لمصالح الغرب الذى لعبته مصر بزعامة عبد الناصر منذ قيام الثورة وخاصة تحريضها لشعوب المنطقة ضد السيطرة الغربية ومقاومتها لسياسة الأحلاف، ثم تبنيها لحركة القومية العربية التي اشتد عودها بعد كسب عبد الناصر سياسيا من وراء حرب السويس 1956، وما كان من قيام الوحدة بين مصر وسوريا التي قلبت الموازين الإستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط، ورغم ضرب الوحدة، نجح عبد الناصر فى أن يمد نفوذه ووجوده الاستراتيجى إلى اليمن بمناصرتة لثورتها وتدخله العسكرى هناك. وبذلك يضع عبد الناصر الغرب تحت رحمته، فهو يسيطر على قناة السويس وعلى البحر الأحمر، ومن ثم يتحكم فى الطريق البحرى الذى ينقل عبره

البتروول إلى الغرب، كما أن وجوده فى اليمين يجعله المتحكم الفعلى فى مناطق إنتاج البتروول لو ترك له الحبل على غاربه، فهو يستطيع أن يلحق ضررا كبيرا بالمصالح الغربيه فى المنطقه وخاصة أن لمصر علاقات وثيقه مع الاتحاد السوفييتي.

ومضت ورقه العمل التركيه تحدد الأطراف العربيه التى تخشى على وجودها من اتساع مساحه الدور الإقليمى لمصر بز عامه عبد الناصر، فذكر الأردن والسعوديه وليبيا، كما لفت النظر إلى توتر العلاقات العراقيه المصريه، والسوريه - المصريه، ومن ثم فإن الوقت ملائم لتوجيه ضربه بجلاء عبد الناصر تقابل بالتأييد من البلاد العربيه فى المنطقه.

أما خطر عبد الناصر على المصالح الغربيه فى أفريقيا فلا حاجه لتأكيديه فضلا عن تدخله غير المعلن فى عدن وجنوب الجزيره العربيه والخليج.

وانتهت ورقه العمل التركيه باقتراح خطه للتخلص من عبد الناصر عن طريق تحويل الوجود المصرى فى اليمين إلى مستتق يصعب الخروج منه طوعا، واتخاذ سبيلا لاستنزاف قوة مصر العسكريه واقتصادها الوطنى، يلى ذلك مساعده إسرائيل على القيام بعمل عسكرى كبير موجه ضد مصر فى الوقت المناسب الذى يحدد على ضوء استنزاف القوة المصريه العسكريه والاقتصاديه فى اليمين.

وثائق حلف الأطنطى

وقد عقد مجلس حلف الأطنطى ثلاث جلسات لمناقشه ورقه العمل التركيه، أطلعت على محضر الجلسة الأولى منها فى النسخه البريطانيه من وثائق الاجتماع، أما الجلستين الأخرين فلن يسمح بالإطلاع عليهما إلا بعد مرور خمسين عاما "أى عام 2014".

وفى الجلسة الأولى "المتاح للإطلاع عليها" عارضت كل من اليونان وإيطاليا ما ذهب إليه الجانب التركى من أن عبد الناصر قد بلغ من الخطر حدا كبيرا على مصالح الشعوب يتطلب تصفيته بل ذهب الجانب اليونانى إلى حد استنكار اتهام عبد الناصر بالعمل فى الشرق الأوسط لصالح السوفييت، وأكد أن عبد الناصر حريص على استقلال بلاده وأنه ربما يكون قد تجاوز الخط الأحمر بتدخله فى اليمين، ولكن هذا التدخل مؤقت، بل إن زعامه عبد الناصر تشكل عنصر استقرار سياسى فى المنطقه وأكد الجانب الإيطالى أن سياسة عبد الناصر تجاه الغرب تتسم بالاعتدال، وأن سياسة مصر الخارجيه متوازنة فيما يتصل بالعلاقة مع كل من الغرب والاتحاد السوفييتى، أما الجانب الفرنسى فطالب بعدم التسرع فى استخلاص النتائج قبل دراسة الوضع دراسة متأنية لأنه يرى أن المخاوف التركيه لا تخلو من مبالغه لا مبرر لها.

تصفية عبد الناصر

ونحن لا ندرى ما تم التوصل إليه في الجلستين التاليتين اللتين تدخلان في نطاق السرية، ولكننا نعتقد أن فيهما تحديدا أكثر وضوحا لما استقر عليه الرأي بالنسبة لخطة "تصفية عبد الناصر" ولا ندرى ما إذا كان جميع المشاركين في الاجتماع على علم بها، فذلك ما سنعرفه تماما عند الكشف عن الوثائق الخاصة بالجلستين، ولعل ما تمتاز به النسخة البريطانية من وثائق الأطلنطي اشتمالها على المشاورات الجانبية مع الجانب الأمريكي، واستطلاع آراء أصدقائها وحلفائها بالمنطقة ومن بينهم الملك حسين.

لعل ما جاء بملف الجلستين من اتفاقات جانبية يتضمن سيناريو ما حدث في 5 يونيو 1967، خاصة أن بريطانيا كانت توافقة إلى الثأر من عبد الناصر لما لحق بها وبهيبتها في المنطقة والعالم بعد فشلها في تحقيق أهداف حرب السويس 1956.

ودليلنا على ذلك التصعيد المستمر للموقف ضد الوجود المصري في اليمن منذ 1964 واستخدام المرتزقة من مختلف الجنسيات الأوروبية، وعمليات نقل السلاح إلى اليمن التي فضحها الطيارون العرب، والانقسام الذي حدث بين قيادات الثورة اليمنية ذاتها، كل ذلك يبين بوضوح أن اقتراح تحويل اليمن إلى مستنقع يصعب الخروج منه بسلام يستهدف استنزاف قوة مصر العسكرية والاقتصادية قد تحقق بالفعل على مدى السنوات الثلاث 64-1967.

كذلك يتضح دور إسرائيل في التحرش بمصر في الإعلان عن مشروع تحويل مجرى نهر الأردن. بما ترتب عليه من تصعيد مستمر للتوتر، حاول عبد الناصر احتواءه عن طريق مؤتمرات القمة. فلم يكن الدخول في حرب ضد إسرائيل، يوما ما على جدول أعمال عبد الناصر، بل صرح ذات مرة في خطاب علني أنه ليس مستعدا في الدخول في حرب ضد إسرائيل إذا سعت لجرنا إليها، ومن ثم كان التصعيد الإسرائيلي للموقف له دلالاته باعتباره من المقترحات الأساسية التي أوردتها الجانب التركي في خطة "تصفية عبد الناصر" التي عرضت على الاجتماع الوزاري لمجلس حلف الأطلنطي.

دليل آخر على تركيز الاتفاق على اتخاذ إسرائيل رأس حربة لتنفيذ مخطط الغرب، الاتفاق الذي أبرمه رئيس الوزراء الإسرائيلي أشكول مع الرئيس الأمريكي "جونسون" الذي وافق الأخير بموجبه على تزويد إسرائيل بأسلحة تتضمن تفوقها على الدول الأربع المحيطة بها "مصر وسوريا ولبنان والأردن" بنسبة ثلاثة أضعاف التسليح العربي، بعد أن كان الخط الثابت في السياسة الأمريكية تحقيق توازن بين قوة إسرائيل العسكرية وجبر انها العرب، وأعلن "أشكول" في مؤتمر صحفى أثناء الزيارة أن إسرائيل تريد أن تتوسع لتوفر مكانا لكل يهودى في العالم حتى لو كان لا ينوى الهجرة إليها حاليا، وكان هذا استفزازا علنيا واضحا.

وفي غضون تلك الأيام اتخذ الكونجرس قرارا فى 26 يناير 1965 بوقف مبيعات القمح الأمريكى إلى مصر خدمة لهدف الاستنزاف الاقتصادى لمصر، لأن البديل الوحيد أمام الحكومة المصرية هو شراء حاجة البلاد من القمح من السوق العالمية بأسعار السوق، بينما كانت مبيعات القمح الأمريكى تتضمن تسهيلات إيجابية لصالح مصر، فكان إيقاف مبيعات القمح الأمريكى لمصر ضربا من الضغط لزيادة الأوضاع الاقتصادية حدة فى الوقت الذى ازداد فيه الإنفاق على القوات المصرية فى اليمن زيادة مطردة.

كذلك قدمت ألمانيا الغربية لإسرائيل فى الأسبوع الأخير من ديسمبر 1964 صفقة ضخمة من السلاح تضمنت مدرعات وطائرات ومدافع وقطع بحرية قيمتها مائة مليون دولار هدية دون مقابل، وكان ذلك بإيحاء من الولايات المتحدة الأمريكية وتحت رعايتها، مما فجر أزمة فى العلاقات المصرية - الألمانية كانت على درجة كبيرة من الحدة ولكن دلالة ذلك تعجل الولايات المتحدة لتحقيق التفوق العسكرى الإسرائيلى الساحق تمهيدا لقيام إسرائيل بلعب الدور الأخير فى خطة "تصفية عبد الناصر" أو تصفية الدور الإقليمى لمصر وتحقيق الحلم الصهيونى - الأمريكى.

وفى تاريخ معاصر لذلك التاريخ تقريبا بدأت إسرائيل دخول النادى النووى ببناء مفاعل "ديمونة" وبذلك حسم التفوق العسكرى الإقليمى لصالحها، ولم يبق إلا الحصول على شهادة اعتراف بذلك على طريق شن حرب تلحق هزيمة مهينة بالعرب.

كانت المذكرة أو ورقة العمل التركية التى قدمت للمجلس الوزارى لحلف الأطنطى فى شتاء 1964، ترى أن نجاح إسرائيل فى إلحاق هزيمة بالعرب أو احتلال أرض عربية، سوف يكشف ظهر عبد الناصر، ويقضى على شعبيته، ويدفعه إلى ترك منصبه أو يقوم البعض بإسقاطه، ولكن لم يدر بخلد وزير خارجية تركيا الذى صاغ الورقة أن الهزيمة التى ستلحق بالعرب ستكون بالحجم الذى كانت عليه فى يونيو 1967 وا إذا لم تكن الهزيمة قد حققت هدف التخلص من عبد الناصر بسبب تمسك الجماهير به، فقد حققت الهزيمة الهدف الاستراتيجى الذى سعى إليه الغرب وهو تحجيم مصر، وتصفية دورها الإقليمى.

ولا يعنى نجاح خطة "تصفية عبد الناصر" أن نحمل أصحابها وحدهم وزر هزيمتنا فى يونيو 1967، فلاشك أن عوامل داخلية كثيرة لعبت دورها الايجابى فى مساعدة الغرب على التخلص من دور مصر الإقليمى لتعيد ترتيب أولوياتها الإستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط فى مرحلة لها طابعها الخاص من مراحل حقبة الحرب الباردة.

ولعل ما يدعم ما نذهب إليه من أن هزيمة يونيو 1967، تم إخراجها على يد حلف الأطنطى كفكرة ثم تبنتها الولايات المتحدة ولعبت دور المنتج لها بالتحالف مع إسرائيل وتركيا "صاحب المشروع"، و كان

من الطبيعي أن تطلع عليها بعض أصدقائها العرب الذين يهتمم التخلص من كابوس عبد الناصر، لعل ما يدعم ذلك كله ما ذكره محمد حسنين هيكل في كتابه "الانفجار 1967" من أن الصحفي البريطاني "انتوني بيرسوف" الذي كان يعد دراسة عن حادث سفينة التجسس الأمريكية "ليبرتي" التي أغرقها الطيران الإسرائيلي عمدا، إذ جاء بدراسته أن مدير إدارة العمليات بالمخابرات المركزية الأمريكية عقد عدة اجتماعات عام 1965، مع مسئولين من الموساد، لبحث متى وكيف يمكن التخلص من عبد الناصر، وأن رأيهم استقر على إمكانية تحقيق ذلك من خلال هزيمة عسكرية في مواجهة بين مصر وإسرائيل تضعه في موقف لا يستطيع الانتصار فيه، فإذا تراجع أو هزم كانت نهايته، وأشار إلى أن عقد الاجتماعات استمر بين الطرفين في تل أبيب وفي واشنطن وحضر تلك الاجتماعات بعض ضباط الأركان الإسرائيليين وقد تقرر في هذه الاجتماعات شن حرب يمكن احتواؤها بين مصر وإسرائيل لا تمتد إلى الأردن وسوريا، وتم الاتفاق على استغلال مواقف عبد الناصر المتشددة وتأييد السوفييت له، وكذلك الوضع في سوريا لإثارة الرأي العام وتهيبته لقبول الحرب، على أن تقع الحرب في إطار يمكن احتواؤه مع الاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع الحكام العرب الذين يتمنون التخلص من عبد الناصر مثل حسين وفيصل.

ويذكر هيكل نقلا عن بيرسون انه نظرا لأهمية خطة احتواء الحرب وتحديد إطارها بهزيمة مصر وحدها كان وجود السفينة "ليبرتي" لتضمن التزام الإسرائيليين بما تم الاتفاق عليه، ولكن إقدام إسرائيل على تنفيذ خطة تقوم على توسيع نطاق العمليات للاستيلاء على مجمل أرض فلسطين، وتقدمها السريع في سيناء والجلولان، جعلها تقصف السفينة وتغرقها حتى لا تتحرك الولايات المتحدة لإلزامها بما اتفق عليه غير أن الولايات المتحدة غفرت لحليفتها هذه الجريمة بعدما استطاعت أن تحقق ما لم يدر بخلد أمريكا، فإذا كانت إسرائيل قد استطاعت أن تفرض تفوقها الإقليمي، فقد نجحت في تحجيم مصر وتصفية دورها الإقليمي وهو ما كانت تتمناه الولايات المتحدة الأمريكية.

ترى.. هل بدأ المشروع العدوانى على مائدة مجلس وزراء الأطلنطى ثم تبنته أمريكا ونفذته بالاشتراك مع إسرائيل أم أن أطرافا أخرى فى الحلف ساهمت فى المشروع؟! إن كشف ما دار فى الاجتماعين الثانى والثالث لمجلس وزراء حلف الأطلنطى سيلقى الضوء على حقيقة الأمر وإن عام 2014 لناظره قريب.